عملوها بهذه القوة والاموال هي دينهم وتلك الاعمال لو اراد وابها الله
والدار الاخرة لكان لهم ثواب في الاخرة عليها فتمتعهم بها اخذ حظوظهم
العاجلة بها فدخل في هذا من لم يعمل الا لدنياه سواء كان جنس العمل من
العبادات او من غيرها ثم قال تعالى فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع
الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا وفي الذي وجهان
احسنهما انها صفة المصدر اي كالخوض الذي خاضوه فيكون العائد محذوفا
كما في قوله مما عملت ايدينا وهو كثير فاش في اللغة والثاني انه صفة الفاعل
اي كالفوج او الصنف او الجيل الذي خاضوا كما لو قيل كالذين خاضوا وجمع
سبحانه بين الاستمتاع بالخلاق وبين الخوض لان فساد الدين اما ان يقع
بالاعتقاد الباطل والتكلم به او يقع في العمل بخلاف الاعتقاد الحق والاول
هو البدع ونحوها والثاني فسوق الاعمال والاول من جهة الشبهات والثاني
من جهة الشهوات ولقد كان السلف يقولون احذروا من الناس صنفين
صاحب هوى قد فتنه هواه وصاحب دنيا اعمته دنياه وكانوا يقولون
احذروا فتنة العالم الفاجر والعابد الجاهل فان فتنتهما فتنة لكل مفتون
فهذا يشبه المغضوب عليهم الذين يعلمون الحق ولا يتبعونه وهذا يشبه
الضالين الذين يعملون بغير علم ووصف بعضهم احمد بن حنبل رحمه الله
تعالى فقال رحمه الله عن الدنيا ما كان اصبره وبالماضيين ما كان اشبهه
انتهى البدع ففناها والدنيا فاباها وقد وصف الله ائمة المتقين
فقال وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا بايتنا يوقنون
فبالصبر تترك الشهوات وباليقين تدفع الشبهات ومنه قوله وتواصوا
بالحق وتواصوا بالصبر وقولهم اولي الايدي والابصار ومنه الحديث
المرسل عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يحب البصر الناقد عند ورود
الشبهات ويحب العقل الكامل عند حلول الشهوات فقوله تعالى فاستمتعتم
بخلاقكم اشارة الى اتباع الشهوات وهو داء العصاة وقوله وخضتم كالذي
خاضوا اشارة الى الشبهات وهو داء المبتدعة واهل الاهواء والخصومات

وكثيرا

وكثيرا ما يجتمعان فقل من تجد في اعتقاده فسادا الا وهو يظهر
في عمله وقد دلت الاية على ان الذين من قبل استمتعوا وخاضوا وهؤلاء
فعلوا مثل اولئك ثم قوله فاستمتعتم وخضتم خبر عن وقوع ذلك
في الماضي وهو ذم لمن يفعله الى يوم القيمة كسائر ما اخبر الله به عن الكفار
والمنافقين عند مبعث محمد صلى الله عليه وسلم فانه ذم لمن حاله
حالهم الى يوم القيمة وقد يكون خبرا عن امر دائم مستمر لانه وان كان
بضمير الخطاب فهو كالضمائر في نحو قوله اعبدوا واغسلوا واركعوا
واسجدوا وامنوا وكان جميع الموجودين في وقت النبي صلى الله عليه وسلم
وبعده مخاطبوه بهذا الكلام لانه كلام الله وانما الرسول مبلغ وهذا
مذهب عامة المسلمين وان كان بعض من تكلم في اصول الفقه اعتقد ان
الضمير انما يتناول الموجودين عند تبليغ الرسول وان سائر الموجودين دخلوا
اما بما علمناه بالاضطرار من استوا الحكم كالوخاطب النبي صلى الله عليه وسلم
واحدا من الامة واما بالسنة واما بالاجماع واما بالقياس فيكون كل من
حصل فيه هذا الاستمتاع والخوض مخاطبا بقوله فاستمتعتم وخضتم
وهذا احسن القولين وقد توعد تعالى هؤلاء المستمتعين الخايضين
بقوله حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة واولئك هم الخاسرون وهذا هو
المقصود هنا من هذه الامة وهو ان الله قد اخبر ان في هذه الامة من
استمتع بخلاقه كما استمتعت الامم قبلهم وخاض كالذي خاضوا وذمهم
على ذلك وتوعدهم على ذلك ثم حضهم على الاعتبار بمن قبلهم فقال الم
ياتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم واصحاب
مدين والمؤتفكات اتتهم رسلهم بالبينات الاية وقد قدمنا ان طاعة
الله ورسوله في وصف المومنين باداء ما وصف به هؤلاء من مثابهة
القرون المتقدمة وامر الله بجهاد الكفار والمنافقين بعد هذه الاية
دليل على جهاد هؤلاء المستمتعين الخايضين ثم هذا الذي دل عليه الكتاب
من مثابهة بعض هذه الامة للقرون الماضية في الدنيا وفي الدين وذم من

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)